تقرير

أكرم حمدان
akh_shebaa@hotmail.com

العلاقات اللبنانية - السورية ومراحلها المتباينة من فرنجية إلى سركيس حتى عون

تعود العلاقات السورية - اللبنانية تاريخيا الى اتفاق المصالح المشتركة الذي وقع في الاول من تشرين الاول 1943 بين رئيس وزراء لبنان رياض الصلح ورئيس وزراء سوريا سعدالله الجابري، وتطور الى معاهدة الاخوة والتعاون والتنسيق في العام 1991 بين الرئيسين حافظ الاسد والياس هراوي

منذ عام 1943 حتى 1974 وقع البلدان اتفاقيات تنظيمية بينهما كما جرى توقيع نحو 39 اتفاقية و80 بروتوكولا ومذكرة في المجالات المختلفة بين البلدين بموجب معاهدة الاخوة والتعاون والتنسيق، كان آخرها في العام 2005.

انطلاقا من المتغيرات الدراماتيكية التي شهدتها سوريا وامكان تأثير ذلك على لبنان، لا بد من استعراض تاريخ العلاقات بين البلدين الشقيقين والجارين، حيث مرت العلاقات اللبنانية - السورية بمراحل متباينة من التعاون والسلام تارة والازمات تارة اخرى، إذ بدأ الاهتمام السوري بالوضع اللبناني منذ نكسة العام 1967، الا انه تضاعف مع بداية الحرب الاهلية اللبنانية عام 1975.

انفجرت الحرب الاهلية عام 1975 مما دفع بالرئيس سليمان فرنجية ان يطلب من سوريا التدخل لوقف الحرب، وقد دخلت القوات السورية الى لبنان بدعم ومساندة عربية بعد القمة العربية التي عقدت عام 1976 وقرار الاجماع بارسال قوات ردع عربية الى لبنان شكلت القوات السورية العماد الرئيسي لها.

في 8 ايار 1976 وقبل خمسة اشهر من انتهاء ولاية فرنجية تم انتخاب الرئيس الياس سركيس رئيسا للجمهورية بعد تعديل الدستور. تشكلت القوات العربية باكثريتها من الجيش السوري، واصبحت القوات السورية القوة العسكرية الاكبر في لبنان والتي وضعت نظريا تحت امرة سركيس، بينما بقيت تتلقى اوامرها من دمشق.

واجه سركيس مجموعة من التحديات مما ادى الى خلخلة العلاقة بينه وبين الرئيس حافظ الاسد.

في 21 ايلول عام 1982 انتخب امين الجميل رئيسا للجمهورية بعد اغتيال شقيقه الرئيس المنتخب بشير. تفاوض الجميل مع اسرائيل، وابرم اتفاق 17 ايار 1983، الذي ربط تنفيذ انسحاب اسرائيل بالانسحاب السوري. ما ان وقع اتفاق 17 ايار حتى سماه الرئيس السوري مع قسم وازن من اللبنانيين "اتفاق العار"، وسرعان ما قامت انتفاضة 6 شباط 1984، وفي 5 اذار 1984 اسقط اتفاق 17 ايار.

تتالت الاحداث حتى شباط 1987 حيث عاد الجيش السوري الى بيروت، ولم يفلح الجميل في اعادة تصحيح العلاقة مع الاسد.

ارسلت الولايات المتحدة مبعوثها ريتشارد مورفي الى دمشق، للبحث في الملف الرئاسي، وعرفت بعدها المقولة الشهيرة "مخايل الضاهر او الفوضى". زار الجميل دمشق في 21 ايلول فالتقى الاسد للبحث في الموضوع الرئاسي، وكان تعليق الاسد لاحقا بأن الجميل لم يشتغل كفاية من اجل الرئاسة.

في 22 ايلول 1988 اصدر الجميل مرسوم تشكيل الحكومة العسكرية برئاسة قائد الجيش العماد ميشال عون، ومعه بدأت مسيرة جديدة من الحرب انتهت بسيطرة الجيش السوري على لبنان، بعد ابرام النواب اللبنانيين اتفاق الطائف في 22 تشرين الاول 1989.

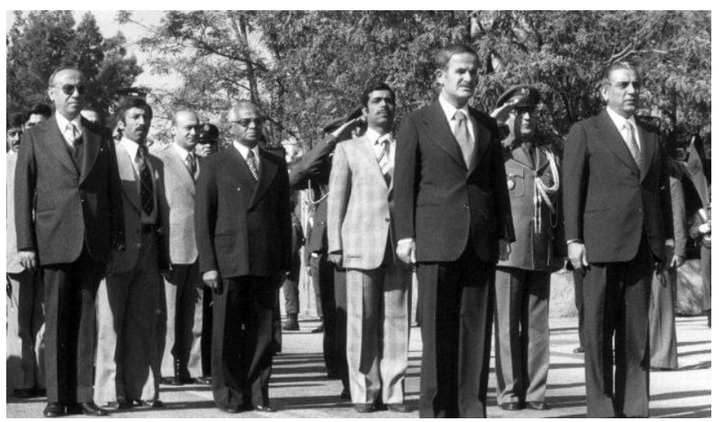

انتخب رينيه معوض رئيسا للجمهورية في 5 نوفمبر 1989، وتسلم مقاليد الحكم والرئاسة بسبب خلو الموقع منذ 23 ايلول 1988.

بدت علاقته منذ اليوم الاول مع نظام الحكم في سوريا غير مريحة، وبرز ذلك من خلال عملية تشكيل حكومة جديدة، فنائب الرئيس السوري عبدالحليم خدام الذي جاءه مهنئا بانتخابه في اهدن بحث معه في عملية تشكيل الحكومة الجديدة وفي اسماء محددة تريدها سوريا في الحكومة، لكن معوض تحفظ عنها، كما رفض الحل العسكري لإنهاء ما كان يطلق عليه "تمرد" العماد عون، وطلب ان يحصل انسحاب للجيش السوري كبادرة حسن نية من اقضية البترون وزغرتا وبشري في شمال لبنان لإحراج عون والضغط عليه ليخرج من قصر بعبدا، وهذا الطلب رفضته دمشق.

نتيجة الاستشارات النيابية، كلف الرئيس سليم الحص تشكيل الحكومة. وفي 22 تشرين الثاني، وبعد انتهاء تقبل التهاني لمناسبة عيد الاستقلال في السرايا الحكومية في الصنائع، وفي طريق العودة الى

مقر الرئاسة الموقت، كان القدر بالمرصاد للرئيس معوض، حيث انفجرت عبوة ناسفة وضعت خلف سور ثانوية رمل الظريف للصبيان، مما اسفر عن استشهاده مع عدد من مرافقيه.

في كتابه "عودة الجمهورية من الدويلات الى الدولة" يروي الرئيس الياس هراوي ان رئيس مجلس النواب حسين الحسيني توجه الى دمشق فورا بعد اغتيال معوض، وتم البحث في عدد من الاسماء المرشحة لتحل محله، وانه عندما التقى الاسد قال له: "اذهب واجمع النواب وانتخبوا الياس هراوي".

على عجل في 24 تشرين الثاني 1989 تم جمع النواب الذين كانوا في لبنان او عادوا من الخارج من طريق مطار دمشق، في فندق "بارك اوتيل" في شتورا، وانتخبوا هراوي رئيسا للجمهورية.

مرت العلاقات اللبنانية - السورية في عهد الرئيس هراوي الذي دام تسع سنوات، بمحطات عدة كان ابرزها انهاء حالة "تمرد" العماد ميشال عون بقرار حاسم من دمشق.

تشكلت اولى حكومات العهد برئاسة الرئيس سليم الحص التي عينت العماد اميل لحود قائدا جديدا للجيش، وتم تشكيل حكومة جديدة برئاسة الرئيس عمر كرامي. كما تم تعيين النواب ليصبح العدد 128 بعدما تم توزيع المقاعد الجديدة بطريقة توصل حلفاء سوريا، وتم حل الميليشيات.

وبعد استقالة الرئيس عمر كرامي تم تشكيل حكومة برئاسة رشيد الصلح كانت مهمتها اجراء انتخابات نيابية، ادت الى انتخاب الرئيس نبيه بري

رئيسا لمجلس النواب، ثم اتت موافقة دمشق على تولي رفيق الحريري رئاسة الحكومة لتبدا مرحلة جديدة من عهد هراوي الذي تم التمديد له في العام 1995 لثلاث سنوات عندما حان وقت انتخاب رئيس جديد للجمهورية في ظل رئاسة الاسد، وقيل ان التمديد كان ضروريا من اجل استهلاك مزيد من الوقت في اعداد العدة اللازمة لتولي بشار الاسد الرئاسة في سوريا.

في عهد حكومته الاولى كانت المرة الاولى التي يصدر فيها بيان حكومي لبناني وفي وثيقة رسمية يتضمن دعما علنيا مكتوبا للمقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلي، كما تضمن البيان تأكيدا على تنظيم العلاقات اللبنانية - السورية على قواعد اخوية واضحة ومتينة، وشكرا لسوريا على دعمها المطلق لمسيرة الحل العربي في لبنان.

ادرك هراوي مبكرا ان الاطلالة على الخارج الاقليمي والدولي ضرورية لكن من خلال البوابة السورية وتكرست في عهده استحالة اي تصور لعلاقة ما بين لبنان واسرائيل خارج الاطار الذي ستتوصل اليه سوريا مع اسرائيل.

في عهد هراوي تم توقيع معاهدة الاخوة والتعاون والتنسيق بين لبنان وسوريا، وقد شكلت هذه المعاهدة الاطار العام للتعاون والتنسيق بين البلدين في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والامنية والثقافية والعلمية وغيرها، ونصت المعاهدة على انشاء المجلس الاعلى الذي يضم رئيس الجمهورية، رئيس مجلس النواب ورئيس الحكومة في كلا البلدين على ان يجتمع مرة كل سنة.

كما نصت المعاهدة على انشاء لجان للتنسيق والتعاون في المجالات المختلفة، وعلى توقيع اتفاقيات خاصة بين البلدين في المجالات التي تشملها هذه المعاهدة الاقتصادية والامنية والدفاعية، والنقطة الاهم هو تعهد الدولتين بالعمل على الغاء القوانين والانظمة التي لا تتوافق مع هذه المعاهدة وبما لا يتعارض مع احكام الدستور للدولتين.

في 5 تشرين الاول 1998، استقبل الاسد هراوي وابلغه انه اتخذ القرار بأن يكون قائد الجيش رئيسا للجمهورية.

في 15 تشرين الاول 1998 انتخب لحود رئيسا للجمهورية، وفي 24 تشرين الثاني تسلم السلطة ◄

With Our Compliments

SODEC s.a.r.l
Import & Export

◄ من هراوي الذي غادر القصر الجمهوري في بعبدا الى منزله.

خلال ايام قليلة، وقعت المواجهة الاولى بين لحود والحريري كانعكاس للصراع داخل اجنحة الحكم في سوريا، وكانت تلك الجولة هي البداية في الاشتباك بين الرجلين اللذين مثلا محورين في السلطة المؤيدة لدمشق والمتعايشة معها.

شهدت ولاية لحود تطورات عدة كان اهمها تحرير الجنوب في 25 ايار 2000، ووفاة حافظ الاسد في 10 حزيران من العام نفسه، وتولى نجله بشار الرئاسة، كما بدأت المطالبة بانسحاب الجيش السوري من لبنان انطلاقا من النداء الذي صدر عن المطارنة الموارنة برئاسة البطريرك مار نصرالله بطرس صفير.

عام 2004، اتخذ القرار السوري بالتمديد للحود، بعدها صدر قرار مجلس الامن الدولي 1559 في الثاني من ايلول 2004 الذي طالب بانتخاب رئيس جديد للجمهورية وسحب الجيش السوري من لبنان وحل الميليشيات.

بعد التمديد، بدأت التطورات والاحداث الامنية وصولا الى 14 شباط 2005 حيث الزلزال الذي نتج من عملية اغتيال الحريري.

في الخامس من اذار 2005 اعلن الرئيس السوري بشار الاسد قرار سحب جيشه من لبنان، الذي اكتمل في 26 نيسان.

في منتصف ليل 23 تشرين الثاني 2007، غادر لحود القصر الجمهوري الذي شهد فراغا استمر ستة اشهر قبل ان ينتخب العماد ميشال سليمان رئيسا للجمهورية. شهدت حقبة سليمان محطات مختلفة من العلاقة بين لبنان وسوريا. كما تنوعت بين الحرارة والبرودة، وفقا للتطورات، ففي التاسع من تموز 2008 جرى اتصال بين سليمان والاسد تناول العلاقات الثنائية بين البلدين، ومنها ما يتصل بالية اعادة العلاقات الأخوية. وشكر سليمان الاسد على القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء السوري باستثناء اللبنانيين من دفع رسم الخروج الذي فرضته السلطات السورية على الذين يغادرون اراضيها. وفي 13 آب 2008 قام سليمان بزيارة الى سوريا تلبية لدعوة من نظيره السوري، وبعد محادثات استمرت يومين صدر اعلان رئاسي خاص تم خلاله الاتفاق على تبادل العلاقات الديبلوماسية بين البلدين على مستوى السفراء.

في 12 تشرين الثاني 2009 عقدت قمة بين سليمان والاسد في دمشق جرى الاتفاق خلالها على تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين.

بعد البدء بالتمثيل الديبلوماسي وفتح السفارات، شهدت العلاقة نوعا من الفتور على خلفية طريقة معالجة الملفات بين البلدين، فدمشق تريد معالجة الملفات العالقة بالجملة وسليمان يفضلها بالمفرق. منذ التبادل الديبلوماسي بين البلدين، لم يطرأ تطور جدي في علاقاتهما ما خلا المصالحة الشخصية بين الرئيس سعد الحريري والرئيس بشار الاسد.

استمر التواصل بين سليمان والاسد بشكل دوري، وكان موقف سليمان يتركز من العلاقة مع سوريا على محورين:

- اعتقاده بأنه نجح في كسب ثقة سوريا سعيا الى علاقة متكافئة بين البلدين، تأخذ في الاعتبار التمسك بطابعها المميز وطمأنة نظيره السوري الى دعمه خيار المقاومة وحمايته.

- ان سليمان يفضل تحريك الملفات العالقة بين البلدين بالمفرق، خلافا لوجهة نظر دمشق التي سبق ان تبلغها، وهي الخوض في الملفات كلها دفعة واحدة انطلاقا من رؤية مشتركة للعلاقات المميزة. في 15 حزيران 2010 عقدت قمة بين سليمان والاسد في دمشق وكانت الاخيرة، وجاءت بعد انعقاد هيئة الحوار الوطني في قصر بعبدا وصدور "اعلان بعبدا" وما تضمنه عن "تحييد لبنان عن سياسة المحاور والصراعات الاقليمية والدولية وتجنيبه الانعكاسات السلبية للتوترات والازمات الاقليمية".

اقتصرت العلاقة بين الرئيس ميشال عون والرئيس السوري بشار الاسد خلال ولاية عون الرئاسية على الاتصالات الهاتفية بينهما، ربما لأن رئاسة عون كانت في مرحلة بدأت فيها الاحداث والتطورات والمتغيرات تحصل في سوريا، الا ان ذلك لم يمنع عون من القيام بزيارتين الى دمشق الاولى كانت قبل توليه الرئاسة في 12 اذار 2008 والثانية كانت في السادس من حزيران 2023، اي بعد انتهاء ولايته الرئاسية.